مبادئ العقيدة
بين
الكتاب المقدس والقرآن الكريم

إعداد
د. سعيد إسماعيل صيني

الطبعة الثالثة
١٤٣١هـ

الطبعة العربية والإنقليزية الأولى:
١٣ شوال ١٤٠٥١هـ
الموافق ١ يولية ١٩٨٥م
A MUSLIM GROUP
Carbonadale, Illinois, USA
الطبعة العربية الثانية:
١٤١٢هـ
الموافق ١٩٩٢م
جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع

الطبعة الإنقليزية الثانية:
١٩٩٨
المدينة المنورة: دار الفجر الإسلامية
ص. ب. ٣٨٤٨

قائمة المحتويات

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستهديه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد محمدا عبده ورسوله. اللهم صلي وسلم عليه وعلى من سبقه من الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد- قد يدور في خلد أحدنا أن هذه الحياة بما فيها من مآس وظلم وجور هي قصة كاملة ليس لها بقية. يولد البعض من بطون أمهاتهم ليتمتعوا بنعمة الذكاء والثراء بينما يولد آخرون ليشقوا بالغباء والفقر. ليس هذا فحسب بل يقع فيها البعض ضحايا ظلم الآخرين فلا يطال الظالمين عقاب. يسترخي البعض معتمدين على حظوظهم الطيبة ويشقى البعض غارقين في حظوظهم السيئة. هل فعلا هذه الحياة قصة كاملة ليس لها بقية؟

و إن كان البعض يعتقد أن هذه الحياة هي قصة كاملة فإن الأمل أن لا يكون هذا هو اعتقاد الإنسان السوي العاقل الذي يمثل السواد الأعظم من الناس. فمن يعتقد في ذلك لا محالة إنسان تخالجه فكرة الانتحار أو لا يرى مانعا في زيادة نصيب الآخرين من التعاسة ليحقق لنفسه أقصى حدود السعادة.

ولعل رجال الدين الصادقين- مهما كانت دياناتهم – هم آخر من يعتقد في ذلك. لهذا فإن الغالب أن اكثر هؤلاء تدينا هم أكثرهم حرصا على سعادة الآخرين في هذه الحياة، وفي الدار الآخرة خاصة.

لقد كان الحافز الأول لإعداد هذا الكتيب هو تلك الجهود الصادقة التي يبذلها رجال ونساء مخلصون من مسيحيين ومسلمين، وخاصة أولئك الذين يتفانون في تحمل المشاق لإقناع البشرية بما يعتقدون أنه السبيل الصحيح للفوز بالسعادة في الدارين.

إن هذا العمل ليس إلا إضافة متواضعة إلى تلك المساهمات الجبارة للرجال والنساء المخلصين. ويهدف إلى مساعدة ذوي الأذهان المتفتحة في اختيار أفضل الوسائل لنيل الفوز في هذه الدنيا وفي الحياة الآخرة. ومع

هذا فإنه قد يجرح مشاعر أولئك الذين يعتقدون بصدق أن العقائد ليست لها علاقة البتة بالفطرة وبالعقل.

وقد انصب اهتمام هذا الكتيب على المبادئ الأساسية في مسيحية اليوم وفي الدين الإسلامي. وينطلق النقاش فيه من حقيقة واحدة هي أن المبادئ الأساسية للدين الصحيح يجب أن تكون موافقة للفطرة السليمة ومعقولة لدى الإنسان العادي البسيط.

وصحيح أن هناك أشياء غامضة أو غيبيات في كل ديانة يجب أن يتقبلها الإنسان بالقلب طالما أنه قد قبل تلك الديانة منذ البداية. وصحيح أنه بالإمكان زراعة المعتقدات في النفوس مهما كانت غريبة، في سن الطفولة وفي الكِبر بالإغراء أو الوعيد أو الاثنين معا. بيد أنه في الغالب، يستعيد الإنسان فطرته واستقلاله، عندما يتمكن من التحرر فكريا، ولاسيما إذا كانت هذه المعتقدات أساسية. ولعل المثال التالي يوضح أهمية خضوع المعتقدات الدينية الأساسية للمنطق السليم وللفطرة.

افترض أن شخصا ما أخبرك بأنه قد زار قصرا معلقا بين السماء والأرض، لا يسنده شيء من فوقه أو من تحته أو من أي جانب من جوانبه. ثم أخذ يقص عليك بعض المغامرات الغامضة له في ذلك القصر مع مغامرات أخرى بدت معقولة. فهل تصدق قصصه الغامضة قبل أن تصدق وجود مثل هذا القصر الذي وصفه لك؟ لعل من الصعب أن تصدقه أولا في وجود مثل هذا القصر، فكيف بتصديق مغامراته الغامضة. ولعل أحدا لن يلومك على اتخاذ مثل هذا الموقف. أما لو كان وصف القصر معقولا فقد يختلف موقفك من المغامرات الغامضة فيه.

لهذا فإن أي ديانة أو عقيدة تتطلب من الإنسان غير المؤمن بها تقبل مبادئها بمجرد القلب رغم تعارضها مع المنطق فإنها ديانة خاصة بمجموعة معينة، ولا تستحق أن تكون ديانة عالمية متاحة لكل الناس. ليس هذا فحسب، ولكن الثقة فيها سرعان ما تتبدد عند معارضتها بالمنطق السليم ومقارنتها بالفطرة.

وعلى العكس، فإن الديانة التي تتفق مبادئها مع العقل السليم والفطرة فإنها تحتفظ بمكانتها رغم ما قد تثيره حالة أدعياء المنتمين إليها من شكوك حول أبعادها العملية.

فمعتقدات الدين الصحيح يجب أن لا تتعارض مع الفطرة السليمة ومنطق التفكير السوي. وعادة لا تظهر أبعادها العملية إلا بالالتزام بمعظم تعاليمها. وأما إذا كانت المعتقدات الأساسية للدين غامضة، وينبغي تقبلها كما هي ابتداء، فإنه يعطي انطباعا بأن بعض الناس محرومون بالخلقة من "الهدي الإلهي" الذي تدعوا إليه تلك الديانة، وأن الفرصة ليست متكافئة بين الناس لنيل السعادة في الحياة الأبدية.

والكتيب بشكل عام محاولة للمقارنة بين ما يحتويه الكتاب المقدس والقرآن الكريم حول المواضيع التي تمثل المعتقدات الأساسية للديانتين. ولمّا كان الله هو المرجع المطلق للمسيحية والإسلام فإن صفات الألوهية أول ما يناقشه هذا الكتيب، ويليه مناقشة الكتب المقدسة، وحقيقة النبي عيسى عليه السلام، والحساب في الآخرة، وصفات الأنبياء، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم الخاتمة.

ويُلاحظ أن الكتيب لم يخطط له الاحتواء على كل المناقشات التاريخية والفلسفية والمنطقية. بل، على العكس فإن هذا الكتيب المختصر جدا لا يُفترض فيه إلا أن يثير بعض التساؤلات عند القارئ حتى يبدأ في البحث عن الطريق السوي للفوز في الحياة الأبدية قبل فوات الأوان.

ولا يملك الكاتب إلا أن يعترف بالشكر لكل من ساهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في إنجاز هذا الكتيب، ويخص بالذكر الدكتورين: أحمد سيف الدين تركستاني، وعبد الرحمن الشمراني لمراجعتهما النسخة العربية للطبعة الأولى. والشكر والمنة لله من قبل ومن بعد.

د. سعيد إسماعيل صيني

١٣ شوال ١٤٠٥هـ

الموافق ١ يولية ١٩٨٥م

المراجعة الأخيرة في ١٤٣١/٠٩/٠٥هـ

صفات الألوهية

يؤمن معظم المسيحيين بعقيدة الثالوث بطريقة أو أخرى، ولكن الكاثوليك خاصة يعتبرون عقيدة الثالوث جزءا لا يتجزأ من صفات الألوهية. والأبعاد الثلاثة للإله عند المسيحيين هي الأب و الابن (عيسى) والروح القدس.(1) يقول الكتاب المقدس: إن عيسى عقب موته وبعثه قال: (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس).(2)

ومن بين صفات المعبود أنه يندم ويتوب عندما يتخذ قرارا ويترتب عليه نتائج لم تكن في الحسبان، مثل ندمه على جعل شاول ملكا على بني إسرائيل(3)، وتحسره على خلق الإنسان(4)، وتأسفه على إرسال الطوفان: (وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان...)(5) والمعبود، حسب الكتاب المقدس، ينسى (...وأنا أيضا قد سمعت أنين بني إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون وتذكرت عهدي).(6) لهذا، هو يحتاج إلى قوس قزح ليذكره.(7)

والرب يصيبه النصب، (فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل).(8)

والرب يتصارع مع النبي يعقوب طوال الليل ثم يرغمه يعقوب على مباركته.(9)

---

(1) يوحنا ١:١ – ١٤؛ يوحنا ١٧:٣؛ متى ٦٣:٢٦- ٦٤.متى ٢٨ : ١٩.

(2) صموئيل الأول ١٠:١٥، ٣٥.

(3) تكوين ٦:٦.

(4) تكوين ٢١:٨.

(5) خروج ٥:٦.

(6) تكوين ١٣:٩- ١٦.

(7) تكوين ٢:٢- ٣.

(8) ٣٢: ٢٤- ٣٠.

(9) سورة النساء: ٤٨، ١١٦.

أما في الإسلام فالاعتقاد بإله واحد يمثل حجر الأساس الذي يقوم عليه الدين كله. يقول الله تعالى: { إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً}.(10) كما يقول تعالى: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ}.(11)

ويؤكد الله تعالى في القرآن الكريم أن العلم كله لله وأنه سبحانه { لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى}.(12) ولعل آية الكرسي من خير ما يصف تفرده بالحول والقوة والعلم إذ يقول تعالى: { اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}.(13)

وعند مقارنة المفهومين الذين يرسمهما الكتاب المقدس والقرآن الكريم للمعبود، لا نجد صعوبة في تصور المفهوم الإسلامي، ولكن نجد صعوبة كبيرة في تصور المفهوم المسيحي، لأنه يطرح عددا من الأسئلة.

مثلا، هل الثالوث ليس إلا صورة من عقيدة تناسخ الأرواح، ولكنها محدودة بأشكال ثلاثة؟ هل المعبود أو الإله أسرة تتألف من ثلاثة أفراد يكمل بعضها بعضا؟ وإذا كان المخلوق قد يعصي الرب فما هو حال "الابن" الذي نصفه إنسان، وورث الخطيئة عن آدم حسب عقيدة التثليث؟

يقول تعالى، معلقا على عقيدة التعدد: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ }.(14)

ويقول تعالى أيضا: { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ

---

(10) سورة النساء: ٤٨، ١١٦.

(11) سورة الإخلاص: ١-٤.

(12) سورة طه: ٥٢.

(13) سورة البقرة: ٢٥٥.

(14) سورة الأنبياء: ٢٢.

}.([15])

ثم نتساءل أليس أفضل معيار للتمييز بين الخالق والمخلوقين هو أن الله واحد لا شريك له، وهو الصمد الغني المستقل استقلالا تاما، بينما المخلوقات يعتمدون على الله ثم على بعضهم البعض؟

وبغض النظر عن توثيق كل كلمة في الكتاب المقدس وعن مطابقتها للحقيقة أو عدم مطابقتها، نتساءل هل كلمة (الابن) تعني دائما وعلى وجه التأكيد الابن المولود للقائل (ابني)؟ فماذا عما ورد في الكتاب المقدس (أنتم أولاد للرب إلهكم)([16]) و (إسرائيل ابني البكر)؟([17]) وهل كلمة الأب تعني أبدا وبالتأكيد الأب الوالد للابن؟ فماذا نقول في قول المسيح: (إني أصعد إلى أبي و أبيكم وإلهي وإلهكم)؟([18]) وماذا عن اللقب الديني المسيحي "أبونا"؟ وإذا كانت هذه الكلمات لا تشير بالضرورة إلى علاقة الدم بين المخلوقات بعضهم البعض، فلم تشير إلى علاقة الدم بين الخالق ومخلوقه؟

والحقيقة إن الكتاب المقدس نفسه يشير كثيرا إلى وحدانية الله في مواضع مختلفة.([19])

([15]) سورة المؤمنون: ٩١.
([16]) تثنية ١٤:١.
([17]) خروج ٤:٢٢.
([18]) يوحنا ٢٠:١٧.
([19]) خروج ٢٠:٣-٥؛ تثنية ٦:٤؛ أخبار الأيام الثاني ٦:١٤؛ متى ٢٣:٩؛ مرقس ١٢:٢٩، ٣٢.

الكتاب المقدس والقرآن الكريم

كتاب المسيحيين المقدس يتألف من العهد القديم والعهد الجديد. ويشمل العهد القديم توراة موسى ومزامير داوود وتعاليم رسل آخرين. ويكوِّن ثلاثة أرباع الكتاب المقدس بزيادة قليلة أو نقص يعتمد ذلك على الطبعة أو النسخة التي يشير إليها القارئ.

أما العهد الجديد فإنه يتألف من إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا وأعمال الرسل وعدد من الرسائل ورؤيا يوحنا؛ وجميع أسفارها سبعة وعشرون سفرا. ويقسم الكتاب المقدس إلى أسفار (مثل التكوين، ويوحنا) ثم إلى إصحاحات (يمثل لها بالأرقام في الغالب وقد توضع لها عناوين) ثم إلى الآيات التي يمثل لها بالأرقام، ومثال ذلك: (تثنية ١٤: ١-٧).

وتشمل الرسائل ما كتبه بولس الرسول إلى أهل نواحي عديدة، يقول إنه لم يتعلمها من أحد، ولكن تلقاها وحيا مباشرا من المسيح، عقب صلبه وبعثه، حسب الرواية المسيحية.([20]) وتُكوِّن رسالته حوالي ثلث العهد الجديد.

ويُعتقد أن أسفار العهد القديم بدأت تظهر مكتوبة قبل القرن الثامن قبل الميلاد ولكن لم تجمع أسفار التوراة في مجلد واحد سوى في نهاية القرن الرابع الميلادي في أورشليم القدس. كما أن أقدم مخطوطات العهد القديم لم تكن بالعبرية، لغة النبي موسى، ولكنها كانت الآرامية والإغريقية واللاتينية القديمة، التي لا تستعمل اليوم هي أيضا. وتعود أقدم مخطوطة للعهد القديم، وهي قمران البحر الميت، إلى ما بين ٧٠ق.م- ١٧٠ ميلادية وهي باللغة العبرية البائدة.

وعدد أسفار العهد القديم يتراوح بين ٣٩- ٥٤ مع اختلاف بسيط في ترتيبها، اعتمادا على النسخة التي يعود إليها القارئ، والعدد المعتمد الشائع هو ٣٩ سفرا.(انظر الملحق أ)

ويقول بارتردج "وفيما عدا بعض القصاصات المتناثرة والتي وجدت مكتوبة على أوراق البردي فإن العهد الجديد لم يظهر مكتوبا إلا

([20]) إلى أهل غلاطية ١١:١ – ١٢.

قبل القرن الرابع الميلادي".([21]) وبقيت جميع تعاليم الإنجيل وقصصها شفوية حتى عام سبعين ميلادية. ومعظم نصوص العهد الجديد لم يتم كتابتها إلا حوالي المائة وأربعين ميلادية. ولعل رسائل بولس الرسول هي أقدم ما تم كتابته من نصوص العهد الجديد.([22])

ومع أن لغة التعاليم كانت الآرامية فإن النصوص الكاملة للعهد الجديد لم تظهر إلا باللغة الإغريقية.([23])

والحقيقة إن ما ورد آنفا من تواريخ تدوين العهدين القديم والجديد هو على وجه الافتراض لا التأكيد، إذ أن معظم نصوص العهد الجديد لم يظهر مكتوبا قبل نهاية القرن الأول للميلاد.([24]) كما أن بعض أجزاء العهد الجديد بقيت غير رسمية حتى القرن الخامس.([25]) ومنذ بداية القرن الخامس الميلادي كانت النسخة الرسمية للكتاب المقدس باللغة اللاتينية، وتسمى (فولجت) Vulgate والتي تم إعدادها ما بين ٣٨٢- ٤٠٤ ميلادية. وقد اعتمدت هذه النسخة على العبرية في ترجمة العهد القديم وعلى الإغريقية في ترجمة العهد الجديد.([26])

وبعبارة أخرى، فإن أصل الكتاب المقدس الحالي هو ترجمة للغة التي جاءت بها التعاليم وليست هي نفسها. ومنذ أن بدأت الترجمات الثانوية فإن التحسينات عليها لم تتوقف حتى اليوم.

أما بالنسبة للقرآن الكريم فإنه نزل به جبريل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم باللغة العربية وهو كلام الله لفظا ومعنى.([27]) ولهذا فإن الله في القرآن الكريم تحدى فصحاء العرب أن يأتوا بمثله إذ يقول تعالى:

([21]) Partridge pp. 7-18.

([22]) Partridge pp. 13.

([23]) Partridge pp. 14-5 .

([24]) Bucaille pp. 71-93 .

([25]) Partridge p. 15 ١٥.

([26]) Bruce p. 1؛ Partridge pp. 16-7 .

([27]) سورة يوسف: ١- ٣؛ سورة القيامة: ١٦- ١٩؛ سورة العلق: ١.

{ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }.([28])

وقد نزل القرآن منجما خلال فترة امتدت حوالي ثلاثة وعشرين عاما، وتم حفظه شفاهة وكتابة في حياة النبي محمد عليه الصلاة والسلام.([29]) ويُعتبر حفظ بعضه إلزاما على المسلمين مهما كانت لغاتهم، وحفظه كله وتلاوته مجودا بلغته، ولو بدون فهم، فضيلة يحث عليها الإسلام، ويخصها بأجر عظيم. ([30])

وقد تم جمع القرآن في مجلد واحد في ظرف عام من وفاة النبي محمد عليه السلام. وبما أن جبريل راجع محمدا- عليه السلام- القرآن مرتين خلال شهر واحد آخر مرة([31]) وذلك فضلا عن كون ترتيب الآيات ثابتا بالنص فإن من الواضح أن ترتيب السور كان بفعل النبي محمد عليه السلام.

ويتكون القرآن الكريم من ١١٤ سورة ومجموع آياتها ٦٢٣٦ آية بدون البسملة في بدايات السور.

والحقيقة أن الأسلوب القرآني ببلاغته وقواعده ومفرداته ما يزال حيا إلى اليوم يعتبره ملايين الناطقين باللغة العربية مقياسا للفصاحة وجمال التعبير. لهذا فإن أي ترجمة لمعاني القرآن في أي لغة من لغات العالم لا يمكن أن تعتبر بديلا للأسلوب الذي نزل به القرآن. وهذا إضافة إلى النمو المستمر لمدلولات نصوصها.

من كل ما سبق يبدو جليا أن أصل الكتاب المقدس، على العكس من القرآن الكريم، ليس كلاما لله، ولكنه ترجمة مكتوبة للغة منقرضة لتعاليم دينية وتقارير تداولها اليهود والمسيحيون الأوائل شفاهة بلغة مختلفة هي الأخرى منقرضة. ومن الواضح أيضا أن بعض أجزاء الكتاب المقدس لا يزال مثار خلاف بين الطوائف المسيحية المختلفة. ومثال ذلك شرعية (الأبوكريفا Apocrypha) (بضعة من أسفار العهد القديم). فهناك من

([28]) سورة البقرة: ٢٣.

([29]) Abdalati pp. 192-4؛ البخاري: مجلد ٦ صفحة ٤٦٣.

([30]) ا لبخاري: مجلد ٨ صفحة ٨٠-٨١، ١٨٥- ١٨٩.

([31]) البخاري: مجلد ٦ صفحة ٤٧٧- ٤٨٥.

يرى أنها ليست شرعية؛ وقد يذهب البعض إلى إنكارها كلية كما يفعل المتطهرون Puritans.([32])

لهذا، حتى عام ١٦١١ ميلادية، أي قبل أربعة قرون، كان هناك أكثر من خمسين ترجمة بالإنجليزية وحدها للكتاب المقدس.([33])

فالأمر إذن ليس مشكلة الترجمة وصعوباتها فقط، ولكنه أيضا قضية الانتماء إلى طائفة دون أخرى، تلك التي تتسبب في الإضافة والإلغاء. وقد تبلغ درجة الإضافة أو الإلغاء درجة خطيرة مثل (وهكذا نحن لدينا ثلاثة براهين في السماء، الأب والكلمة (أو عيسى) والخيال المقدس (أو روح القدس).([34]) وكذلك بالنسبة للآية (فقال فيلبس إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز. فأجاب وقال: أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله).([35]) وهذه الآيات ومثيلاتها موجودة في بعض النسخ وأزيلت من البعض الآخر خاصة النسخ الحديثة لأن بعضها لم توجد حتى في أفضل النصوص اللاتينية.([36])

أما المتناقضات في الكتاب المقدس فإنها كثيرة وفيما يلي بعض الأمثلة:

أ - جاء في العهد القديم أن إسماعيل هو الابن الأكبر للنبي إبراهيم([37]) ولكن ورد، في السفر نفسه، قول الرب (خذ ابنك وحيدك، الذي تحبه إسحق...)([38]) فكيف يكون إسحاق الابن الوحيد لإبراهيم ولا يزال إسماعيل على قيد الحياة وهو الابن الأكبر؟ إلا أن يقول أحد أن ابن الجارية في المسيحية لا يعتبر ابنا كاملا مع أنه في الإسلام يكون ابنا

(32) Bruce pp. 110-111, 123 .
(33) بارتريدج صفحة ٥.
(34) يوحنا ٥:٧ منقولة عن نسخة نلسون ١٩٧٠م بالإنجليزية.
(35) أعمال الرسل ٨:٣٧.
(36) بروس صفحة ٢٠٨؛بارتريدج صفحة ١- ٦، ١٥٩- ١٧٩.
(37) تكوين ١٦:١٥، ١٧-١٩.
(38) تكوين ٢٢:٢.

كامل الحقوق ويكون أيضا سببا في حرية والدته من سيدها الذي هو أبوه.([39])

ب - يصف العهد القديم الرب بأنه (نصيح إسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس إنسانا ليندم).([40]) ثم نجد الكتاب المقدس في موضع آخر يقول بأن الرب يندم إذا أخطأ ويغير رأيه كأنه لا يعلم ماذا سيحصل منذ البداية.([41])

ج - حتى في رواية القصة الواحدة يختلف كتاب الأناجيل في عدد الشخصية الرئيسة للقصة هل هما مجنونان، حسب رواية متى([42]) أو مجنون واحد حسب رواية مرقس([43]) ولوقا.([44])

د - في العهد الجديد تذكر رسالة لبولس الرسول أن آدم أذنب فلذلك أصبح نسله مذنبين.([45]) وهذا يتعارض مع ما ورد في الكتاب المقدس في موضع آخر إذ جاء فيه (الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون).([46])

هـ - عند الرجوع إلى نسب المسيح في إنجيل متى([47]) ولوقا([48]) يجد القارئ عددا من التناقضات منها:

١. عدد الأجيال بين النبي إبراهيم ويوسف النجار زوج أم النبي عيسى- حسب الكتاب المقدس- يختلف بين الإنجيلين بنسبة تتراوح ما بين ٣٨ إلى ٥٤ أو ٥٦ حسب النسخ التي يعود إليها القارئ.

(39) ابن قدامة مجلد ٦ صفحة ٣٠٧ ومجلد ٧ صفحة ٥٠٠- ٥٠٤.
(40) صموئيل الأول ١٥:٢٩.
(41) صوئيل الأول ١٥:١٠؛ صموئيل الثاني ٢٤:١٦؛ عاموس ٧:٣؛ يونان ٣:١٠.
(42) متى ٨:٢٨- ٢٩.
(43) مرقس ٥:١- ١٠.
(44) لوقا ٨:٢٦_ ٣١.
(45) إلى أهل رومية ٣:٢٤- ٢٥؛ ٥:٢- ٢١.
(46) حزقيال ١٨:٢٠؛ تثنية ٢٤:١٦.
(47) متى ١:١- ١٧.
(48) لوقا ٣:٢٣- ٣٨.

٢. في متى (١: ١٦) نجد أن يوسف النجار هو ابن يعقوب، بينما هو في لوقا(٣: ٢٣) ابن هالي.
٣. في متى (١: ٧) نجد أن يوسف النجار هو من نسل سليمان بن داوود بينما هو في لوقا (٣: ٣١) من نسل ناثان بن داوود.
٤. هناك كثير من الأسماء الأخرى التي لا يمكن مقارنتها في الأناجيل. فالاختلافات قد تصل إلى درجة التناقض بين كتاب الأناجيل الأربعة. والمفترض أنهم يروون التعاليم نفسها والأحداث ذاتها كشهود عيان. وهذا يدل على أن بعضهم لم يكونوا شهود عيان، واعتمدوا على مصادر غير موثوقة أو أن التحريف قد تسرّب إلى كتاباتهم. وعلى أية حال فإن هذه الحقيقة لا شك تخدش الثقة في هذه الأناجيل.

ويعجب الإنسان إذا ما كان بولس الرسول هو نبي أيضا، خاصة أنه يقول بأن رسالته عالمية، بينما رسالة المسيح كانت خاصة ببني إسرائيل([49]) كما دعا إلى أشياء أخرى جديدة بعضها يتعارض مع تعاليم المسيح وتطبيقاته مثل ابتداع الأغاني والترانيم الروحية بالمزامير([50])، ونسخ أمر الرب بالاختتان([51]) مع أن الاختتان فرض على المؤمنين في العهد القديم.([52]) كما أنه جعل من عقيدة الثالوث والخطيئة الأصلية دينه وجوهر دعوته.

وجعل بولس الرسول الصليب مقدسا، وكان من باب أولى أن يُبغض فقد كانت الآلة التي يعتقد المسيحيون أن المسيح عليه السلام عُذّب بها. كما أبدل السبت بالأحد مع أن تعاليم العهد القديم ملزمة لأتباع المسيح إلا ما صرح هو بإلغائه.([53])

([49]) متى ١٠:٥ ــ ٦؛ ١٥:٢٤؛ ١٩: ٢٧- ١٨.
([50]) إلى أهل أفسيس ٥:١٩.
([51]) الأولى إلى أهل كورنثوس ٧:١٨- ١٩؛ إلى أهل رومية ٣:١.
([52]) تكوين ١٧:١٠.
([53]) متى ٥:١٧- ١٩ وانظر التفاصيل في الطهطاوي صفحة ٢٥٩- ٢٧٧.

لهذا فقد كان اختلاف الحواريين مع بولس الرسول أمرا لا مفر منه فتجرأ على تهمتهم بالنفاق.([54]) ومع كل هذه التناقضات فإن بولس الرسول يتحدث عن مصدر تعاليمه، فيقول: (أعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان. لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته، بل بإعلان يسوع المسيح).([55])

وبما أن بولس الرسول لم يقابل المسيح ولم يقابل أحدا من حوارييه إلا بعد أعوام([56]) فإن هذا يعني انه لم يتلق تعاليمه من المسيح إلا بعد صلبه.([57]) ألا يشبه هذا الادعاء، دعوى أحد أقرباء الميت المتأخرين بأنه رأى روح الميت وأخبره بأن بعض فقرات الوصية منسوخة وأن لهذا القريب الحق في توزيع التركة كيف يشاء؟

والملاحظ أن بولس الرسول هو مصدر الغوامض في المسيحية. مثلا: ١) الطريقة التي تلقى بها بولس تعاليمه من المسيح، ٢) وعقيدة الثالوث، ٣) الخطيئة الأصلية. وإذا علمنا أن رسائل بولس الرسول هي أول ما تم تدوينه من العهد الجديد فإنه يتبين لنا جليا أن كل واحدة من هذه الغوامض جاءت لتسند الأخرى.

إن أي إنسان عاقل يجب أن يشكك في مثل هذا الكتاب الذي يمكن بسهولة الإضافة إلى كلماته ومعانيه والحذف منه، بحجة تحسين الترجمة من أصل هو ترجمة بذاته.

إذا كان هذا لا يجوز في دستور بشري فكيف يجوز في كتاب يُفترض أن يكون دستورا إلهيا؟

([54]) إلى أهل غلاطية ٢:٥ ــ ١٤.
([55]) إلى أهل غلاطية ١:١١ ــ ١٢.
([56]) الطهطاوي صفحة ٢٤٤.
([57]) أعمال الرسل ٩:١- ٤٢.

النبي عيسى عليه السلام

يشير الكتاب المقدس إلى أن النبي عيسى قد ولدته أمه في بيت لحم إذ كانت (أمه مخطوبة ليوسف وقبل أن يجتمعا وُجدت حبلى من الروح القدس).([58])

أما عن حكمة وجود المسيح فيقول يوحنا في إنجيله (لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم. بل ليخلص به العالم. الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد يدين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد).([59])

فإذًا عيسى –حسب الكتاب المقدس- نصف إله ونصف إنسان. ويستند القول بألوهيته إلى كونه قد ذُكِر بصفته إبنا للرب وكلمته التي كانت موجودة منذ الأزل،([60]) (وكل شيء كان، وبغيره لم يكن مما كان).([61]) ولكن (الكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الأب).([62]) وهذا إضافة إلى كون أمه قد حملت به من الروح القدس.([63])

وحسب وصف الكتاب المقدس فإن حادثة صلبه كانت قصة مأساوية لم تشهدها الرحمة بتاتا.([64])

ويميل المسيحيون إلى الاعتقاد بأن ابن الله قد قدم جزءه البشري طوعا لأجلنا، ولكن الأناجيل تشير إلى أنه قال محتجا على أبيه إذ (صرخ بصوت عظيم قائلا إيلي إيلي. لما شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟)([65])

([58]) متى ١:١٨-٢١.
([59]) يوحنا ٣:١٦- ١٨ وانظر أهل رومية ٣:٢٤- ٢٥؛ ٥:٨- ١٠.
([60]) يوحنا ١:١.
([61]) يوحنا ١:٣.
([62]) يوحنا ١:١٤.
([63]) متى ١:١٨.
([64]) متى ٢٧:١- ٦٦؛ مارك ١٥:١- ٤١.
([65]) متى ٢٧:٤٦؛ مارك ١٥:٣٤.

أما القرآن الكريم فيروي قصة عيسى عليه السلام على النحو التالي: {إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ. وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ. قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ. وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ. وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ. إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ }.([66])

فالقرآن إذن يتفق مع إنجيل متى ولوقا على أن ميلاد المسيح كان معجزة إذ لم يكن له أب. ولكن القرآن يؤكد أن حواء أيضا لم يكن لها أب.([67]) أما آدم فقد خلقه الله ولم يكن له أب ولا أم. ([68])

يقول الله تعالى: {ِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ }.([69]) فهي كلمة واحدة من الله {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }.([70])

عندما نستعرض الكتاب المقدس، والقرآن الكريم فيما يتعلق بمصطلحي (كلمة) و (ابن) وكون الإنسان يأتي إلى الوجود بدون أحد الوالدين أو بدونهما جميعا فإننا نجد الحقائق التالية:

([66]) سورة آل عمران: ٤٥- ٥١.
([67]) سورة النساء: ١؛ البخاري مجلد ٤ صفحة ٣٤٦.
([68]) سورة الحجر: ٢٨- ٢٩.
([69]) سورة آل عمران : ٥٩.
([70]) سورة يس: ٨٢- ٨٣.

١- يحيى عليه السلام كانت ولادته بمعجزة، أي بعد أن بلغت أمه سن اليأس، قبل أن يكون عيسى عليه السلام كلمة من الله([71]) أي يولد بمعجزة، أي بدون أب.
٢- الروح القدس كان سببا في ميلاد يحيى كما كان سببا في ميلاد المسيح.([72]) وعن الكيفية التي تحول فيها الطين إلى آدم يقول تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ).([73]) وقد استخدمت الطريقة نفسها أي { نَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا}([74]) بالنسبة لعيسى عليه السلام.
٣- أما مصطلح (الابن) في الكتاب المقدس فقد شارك فيه عيسى آخرون مثل آدم([75]) والمؤمنون.([76])
٤- وكون الإنسان يأتي إلى الوجود بدون أحد الوالدين فحواء شريكة لعيسى في ذلك.([77]) وإذا كانت معجزة خلقهما متساوية فإن خلق آدم اكثر إعجازا. فمن أحق أن ينسب إلى الله؟

والحقيقة أن ما نقلته إلينا الأناجيل من احتجاج عيسى على إلهه لتركه يُصلب ليس فقط ينقض الاعتقاد السائد بأنه قدّم نفسه طوعا كضحية من قبل أبيه، ولكن يثبت ضعفه كإنسان.. وحسب ادعاء الكتاب المقدس – فإنه يُعبِّر عن احتجاجه على أمر "الأب". واحتجاج عيسى عليه السلام على إرادة الله تهمة جسيمة في حق نبي مثل عيسى، إذا ما قورن باستسلام إسحق، حسب رواية التوراة([78]) أو إسماعيل، حسب رواية

(71) سورة آل عمران ٣٩- ٤٠، ٤٥.
(72) لوقا ٤١:١، ٦٧؛ متى ١٨:١ وانظر العدد ٢٥:١١ علاقة الروح القدس بسبعين رجلا واشعيا ١:١١ لحلول روح الرب على شجرة.
(73) سورة الحجر: ٢٨- ٢٩.
(74) سورة الأنبياء: ٩١؛ سورة التحريم: ١٢.
(75) لوقا ٣٨:٣.
(76) متى ٤٥:٥ يوحنا ١٢:١.
(77) تكوين ٢١:٢- ٢٥.
(78) تكوين ١٠:٢٢- ١١.

القرآن، الذي استسلم وقال: { يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} عندما أراد إبراهيم ذبحه.([79])

ولو نظرنا إلى الطريقة التي عرضت فيها الأناجيل نسب عيسى عليه السلام، نجد أنها لم تدعه إلى أمه وآبائها، بل دعته إلى زوج أمه يوسف النجار وآبائه.([80]) وهذا يؤكد إنسانيته ويلغي معجزة ميلاده ويؤكد تهمة اليهود لأمه والتي براها القرآن الكريم منها.

وجاء في الأناجيل أيضا أنه ابن داوود([81]) وأنه ابن الإنسان.([82]) لهذا نجد القرآن الكريم يؤكد في قوله تعالى: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ...}([83])

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: لمّا كان صلب عيسى عليه السلام لرفع الموت الذي أتى به آدم بالخطيئة التي اقترفها، هل حقا رفع صلب عيسى عليه السلام الموت عن المسيحيين؟

وماذا عن الذين عاشوا قبل مجيء المسيح؟

وحسب عقيدة القائلين بأن المسيح ابن الله فإن آدم جلب اللعنة على نسله جميعا بدون تمييز بينهم، فلماذا لا يرفع صلب عيسى اللعنة إلا عن الذين يؤمنون بأن عيسى ابن الله؟ وما هو مصير من جاؤوا قبل ميلاد المسيح؟

ألا تعني عقيدة بنوة المسيح لله سبحانه وتعالى أن عيسى ليس إنسانا كاملا ولا إلها كاملا، أي ناقصا من الجهتين؟ فهل يجوز أن يقال هذا عن أحد الأنبياء من أولي العزم؟

(79) سورة الصافات: ١٠٢.
(80) متى ١:١- ١٦؛ لوقي ٢٣:٣- ٣٨.
(81) متى ٢٧:٩؛ يوحنا ٤٢:٧.
(82) متى ٢٣:١٠؛ ومرقس ١٠:٢.
(83) سورة المائدة: ٧٥.

الحساب والخطيئة الأصلية

الإيمان بعقيدة الخطيئة الأصلية أساس من أسس الدين المسيحي. وهي التوأم المكمل لعقيدة الثالوث. وتعود جذور هذه الخطيئة إلى عصيان آدم لله تعالى في الجنة، إذ أكل هو وحواء من الشجرة المحرمة.([84]) وهذا العصيان من أبي البشر يسمى بالخطيئة الأصلية التي أصبح جميع نسله بسببها مذنبين وحل عليهم بها الهلاك.

ويوضح بولس (الرسول) ذلك بقوله: (من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع).([85]) ولكن لعدل الله وحبه للعالم بذل ابنه الوحيد لكيلا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.([86]) فهذا ابنه الذي كان في صورة الله (أخلي نفسه آخذا صورة عبد صائرا في شبه الناس. وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصلب).([87])

ويقترن بعقيدة الخطيئة الأصلية أيضا قضية المصير المحتوم التي كانت مجالا خصبا لكثير من الجدل. وذهب بعض المسيحيين إلى القول بأن الله مالك كل شيء فهو يسع في رحمته من يشاء ويضل من يشاء وليس لأحد أن يسأله عما يفعل.([88]) أما البعض الآخر كرجال الدين من مسيحي اليونان فإنهم فسروا هذه النصوص وغيرها من النصوص المماثلة بشكل عام يوحي بوجود حرية للإنسان في الاختيار.([89])

ويذهب راهنر إلى أن هناك فرقا بين الخطيئة الأصلية والذنب الشخصي([90]) الذي يتطلب الاعتراف به إلى القسيس للتكفير عنه.([91])

([84]) تكوين: ٣:١- ٧.
([85]) إلى أهل رومية ١٢:٥.
([86]) يوحنا ١٦:٣- ٢٠.
([87]) إلى أهل فيلبي ٦:٣- ١٨؛ إلى أهل رومية ٢٣:٣- ٢٦؛ ٣:٨.
([88]) إلى أهل رومية ١٤:٩- ٢٤.
([89]) . Rahner p. 1277
([90]) .Rahner p. 1155

فالمسيح عقب صلبه وبعثه أعطى الحواريين صلاحية غفران الذنوب. إذ ورد في الإنجيل قول المسيح (اقبلوا الروح القدس، من غفرتم خطاياه تُغفر له ومن أمسكتم خطاياه أُمسكت).([92])

أما القرآن الكريم فله موقف آخر من قصة آدم في الجنة، إذ يقول الله تعالى: { وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ. فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ }.([93])

ويؤكد القرآن في الوقت نفسه أن آدم قد تاب إلى ربه {فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }.([94]) وعلى العكس مما ورد في الكتاب المقدس فإن القرآن الكريم يؤكد أن الحياة الدنيا هي هبة من الله إذ يقول تعالى للملائكة حتى قبل أن يخلق آدم: { إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}.([95])

والإنسان في نظر الإسلام يولد على الفطرة التي تهديه إلى وحدانية الله والاستسلام له، إذ يقول تعالى: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.([96])

وقد زود الله الإنسان بالعقل الذي يستطيع به التمييز بين الخير والشر([97]) ومنحه القدرة على الاختيار بينهما([98]) ثم أمده بالهداية بما أرسل من أنبياء ورسل.([99]) فمن يتبع الهدى الإلهي سينال الفوز وأما

([91]) مرقس ١:٤- ٥.
([92]) يوحنا ٢٠:٢٢- ٢٣.
([93]) سورة البقرة: ٣٥- ٣٦.
([94]) سورة البقرة: ٣٧.
([95]) سورة البقرة: ٣٠.
([96]) سورة الروم: ٣٠- ٣١.
([97]) سورة البلد: ١٠.
([98]) سورة الإنسان: ٣؛ سورة الرعد: ١٢٧؛ سورة النحل: ٩٣.
([99]) سورة فاطر: ٢٤.

الذين يسيئون استعمال قواهم العقلية وحرية الاختيار ويتجاهلون الهدى الإلهي فسوف يستحقون العقاب.

ولا يعني هذا أن الله يفقد السيطرة على أفعال العباد وقد منحهم حرية الاختيار. فالله يؤكد أنه مع كون الإنسان مخيرا فهو لا يزال تحت سيطرته التامة إذ يقول تعالى: { إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً. وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً}.([100])

وهذه الحقيقة مضافة إلى حقيقة كون الإنسان مسئولا عن أفعاله تشتبه على كثير من الناس، غير أن المثال البشري التالي سيساعد على توضيح هذه الحقيقة وتبسيطها ولله المثل الأعلى.

افترض أن لديك طفلا في مقدوره فهم الإرشادات (لديه العقل) ووضعت أمامه طبقا من الطعام، وإلى جانبه لعبة تحمل بعض الجراثيم. فشرحت له أن الطعام مفيد لصحته وأن اللعبة خطيرة على صحته (زودته بالهداية) ثم منحته حرية الاختيار بينهما (حرية الإرادة) لفرصة محددة، دون إخباره بنهايتها. وهنا نلاحظ أنه مع منح الطفل حرية الاختيار فإنك لا تزال تسيطر عليه تماما، لأنك تستطيع التدخل في أي لحظة لتسلبه حرية الاختيار هذه. وقد تجبره على اختيار الطعام خلافا لرغبته الشخصية. ولكن لو اختار هذا الطفل اللعبة الملوثة- رغم الإرشادات التي أدركها سلفا- وأصبح مريضا فإنه سيكون هو المسئول عن تلك النتيجة.

ليس هذا فحسب، بل، لو كانت اللعبة أصعب في الحصول عليها من الطعام، ولكن إصرار الطفل سيوصله قبل انتهاء الفرصة الممنوحة له، سواء ساعده أحد أم لم يساعده، فساعدته فإنه لا يزال مسئولا عن النتيجة. فالمسئولية عن النتائج هي الثمن دائما للحرية التي يتغنى بها الناس ويعيشون من أجلها ويتقاتلون في سبيلها.

ولكن يجب أن لا ننسى أن نتائج هذه الحرية أو حتى المعرفة اليقينية المسبقة لما قد يختاره الطفل ليست في حدود إمكاناتنا البشرية. أما بالنسبة لعلم الله الذي لا يحده عنصر الزمان والمكان أو الحواس المحدودة فالأمر يختلف. فبالنسبة لعلم الله ليس هناك ما يسمى بالماضي الغامض أو

(100) سورة الإنسان: ٢٩- ٣٠.

المستقبل المجهول، وليس هناك ما يمكن اعتباره خافيا.([101]) فكل شيء بالنسبة لعلم الله حاضر. ومن هذا العلم ينطلق القدر خيره وشره أي الإحاطة بما كان وسيكون في أي مكان وزمان، إذ يقول الله تعالى: { مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}.([102]) فما هو مكتوب في اللوح المحفوظ منذ الأزل وما يُكتب للإنسان وهو لا يزال في بطن أمه ليس إلزاما من الله لمخلوقاته، ولكنه وصف لما هو في علم الله حاضر. ولمّا كنا لا ندري ما هو مكتوب مما سنقوم به من أعمال قد تؤدي إلى الجنة أو إلى النار فإنه علينا أن نعمل جهدنا للفوز في الدنيا والآخرة، لنخلي مسئوليتنا أمام الله تجاه ما منحنا من إمكانات ونعم عديدة. فالإنسان لا يحاسب على الخطأ بعد بذل الجهد المناسب للنعمة التي توفرت له.

ويؤكد القرآن الكريم أن الأمور لا تسير بطريقة عشوائية فكل شيء في هذا الوجود يسير حسب قوانين ثابتة وضعها الله([103])، وأن بعض القوانين تبطل مفعول بعضها الآخر. وهذا هو ما يُعبر عنه بالقضاء. ومسئوليتنا تنحصر في: أي القوانين نختار وكيف نستعملها. ولهذا فإن الدعاء المستجاب قد يرد القضاء فهو لجوء إلى الله خالق القوانين الطبيعية كلها والقادر على إبطال مفعول أي قانون.

أما فيما يتعلق بالخطيئة الأصلية فإن الله تعالى ينفيها بقوله: { قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}.([104])

والكتاب المقدس في بعض نصوصه يؤكد المبدأ نفسه.([105]) ثم الله لا يحتاج وسيطا بينه وبين مخلوقاته. وعلمه يحيط بكل شيء إذ يقول

(101) سورة البقرة: ٢٨٤؛ سورة الأنعام: ٥٩.
(102) سورة الحديد: ٢٢.
(103) سورة الفرقان : ٢؛ سورة الطلاق: ٣.
(104) سورة الأنعام: ١٦٤.
(105) حزقيال ٢٠: ١٨.

تعالى: { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}.([106]) لهذا فالمغفرة لا تطلب إلا منه ولا يضمنها أحد سواه { وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ}.([107])

إن عقيدة الخطيئة الأصلية تثير عددا من التساؤلات. فهل تقبل العدالة البشرية فضلا عن العدالة الربانية معاقبة الأبناء بذنب اقترفه الآباء؟ ولو سلمنا بعدم استحالة هذا، أليس في إمكان الرب أن يعفو عن خلقه دون تعريض نفسه أو جزء منه أو ابنه – تعالى عما يصفون- إلى هذا العذاب كله؟

ألا تظن أيها القارئ أن عقيدة الخطيئة الأصلية وصلب المسيح عليه السلام للتكفير عن تلك الخطيئة التي لم يرتكبها نسل آدم تشبه قصة الرجل الذي يتظاهر بأن أسرته تعاني من الظمأ والماء في متناول يده؟ إنه يجري المسافات الطويلة في دائرة كبيرة ليعود إلى حيث بدأ وحيث الماء؟ بم تصف مثل هذا الرجل؟... وهل يمكن إلصاق مثل هذه التهمة أو الصفة بالله العزيز الحكيم؟

؟؟؟

(106) سورة ق: ١٦.

(107) سورة آل عمران: ١٣٥.

أنبياء الله

ورد في الكتاب المقدس نعت (النبي) لطائفتين من الناس. أولئك الذين يدّعون النبوة من عند أنفسهم، فاستحقوا التهديد كما جاء في العهد القديم (ويل للأنبياء الحمقى الذاهبين وراء روحهم ولم يروا شيئا)،([108]) وأولئك الذين أرسلهم الله بالهدى لأقوامهم.

وعلى النقيض من الصورة التي رسمها العهد الجديد لعيسى فإننا نجد صورا غريبة لرسل الله في العهد القديم. إذ نقرأ فيها مثلا: (وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما. وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه). ولأن ابنه الصغير رأى عورة أبيه وأخبر أخويه بذلك دعى عليه نوح عليه السلام بقوله: (ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لأخوته).([109])

أما النبي لوط عليه السلام فقد جعل منه العهد القديم سكرانا تسقيه ابنتاه الخمر وتنامان معه حتى تُحييا نسلا من أبيهما إذ تقرا فيه(فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها..) وتكررت هذه العملية في الليلة التالية مع الإبنة الصغرى([110]) ومع أن الكذب من أخطر العوامل التي تخدش النبوة فقد اتهمت التوراةُ إبراهيمَ عليه السلام بالكذب على غلمانه وإبنه بدون سبب مقبول.([111])

أما النبي يعقوب عليه السلام فإنه بالتآمر مع والدته يخدع أباه النبي إسحاق عليه السلام، ليحظى بالبركة التي وعدها والده لأخيه عيسو.([112]) ليس هذا فحسب فإن الكتاب المقدس صوّر النبي يعقوب شريرا، يُدبِّر خدعة قذرة للسطو على مال خاله ووالد زوجتيه.([113]) ويؤلف كذبة على ربه ليخدع بها زوجتيه فتكرهان والديهما بسببها. بل إن واحدة من البنات

(108) حزقيال: ١٣:٣.

(109) تكوين ٩: ٢٠-٢٥.

(110) تكوين ١٩: ٣٠- ٣٨.

(111) تكوين ٢٢: ٥- ٨.

(112) تكوين ٢٧: ١- ٢٩.

(113) تكوين ٣٠: ٣١- ٤٣.

سرقت (أصنام أبيها، وخدع يعقوب قلب لابان الآرامي (خاله) إذ لم يخبره بأنه هارب، فهرب هو وكل ما كان له...)([114])

ومما يُدهَش له أن الكتاب المقدس يصور الله راضيا بكل ما صنع يعقوب إذ نقرأ فيه (وقال الرب ليعقوب ارجع إلى أرض آبائك وإلى عشيرتك فأكون معك).([115]) ويأمر خال يعقوب بعدم التعرض له إذ (أتى الله إلى لابان الآرامي في حلم الليل، وقال له احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو شر).([116])

ويهوذا يرتكب الفاحشة بكامل وعيه مع زوجة ابنه على التوالي إذ غطت وجهها فلم يعرفها وحسبها زانية. ثم تنجب منه توأمين:([117]) أحدهما وهو فارص أصبح جدا للنبي داوود وسليمان ويوسف النجار زوج مريم أم عيسى عليه السلام.([118]) وليس بين ابن الزنى، فارص، والنبي داوود وسليمان سوى ثمانية أو تسعة أجيال مع أن الكتاب المقدس يؤكد (لا يدخل ابن الزنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر. لا يدخل منه أحد جماعة الرب).([119])

وأما النبي داوود عليه السلام فقد صوّره الكتاب المقدس زانيا، يخون جنديه أوريا في زوجته. ثم يكيد للزوج المخلص لمليكه أكثر من إخلاصه لزوجته، ويكتب إلى قائده يوآب (اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيُضرب ويموت...)([120]) ومع هذا فامتناع داوود عن الطعام ليس علامة للتوبة وطلبا للمغفرة ولكن أملا في شفاء ابنه من زوجة أوريا. فلما مات الولد قام (داوود عن الأرض واغتسل وادهن وبدل ثيابه ودخل بيت الرب وسجد ثم جاء إلى بيته وطلب فوضعوا له خبزا فأكل). ولما استغرب عبيده من فعله أجاب (لمّا كان

([114]) تكوين ٣١:٤- ٣٠.
([115]) تكوين ٣١:٣.
([116]) تكوين ٣١:٢٤.
([117]) تكوين ٣٨:١٢- ٣٠.
([118]) متى ١:١- ١٦.
([119]) تثنية ٢٣:٢.
([120]) صموئيل الثاني: ١١:٢- ١٧.

الولد حيا صمت وبكيت ولما مات الولد قمت وأكلت خبزا... والآن قد مات فلماذا أصوم هل أقدر أن أرده بعد؟)([121])

وفي مقابل هذا فإن القرآن الكريم يتخذ موقفا مختلفا من أنبياء الله ورسله وصفاتهم. وينطلق الموقف القرآني من المبدأ الذي يؤكد أن الأنبياء قد أرسلهم الله بهداه إلى الناس مبشرين ومنذرين. ولهذا فهم أفضل النماذج في أقوامهم وبشكل عام هم أفضل البشر ومعصومون من الذنوب الكبيرة مما يخدش مكانتهم كقدوة يُحتذى بها.([122])

فالقرآن مثلا يشير إلى الأنبياء بقوله تعالى:

{وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. ووهبنا له إسحاق ويعقوب، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ}.([123])

وإذا عارضنا ما جاء في القرآن الكريم بما جاء في الكتاب المقدس عن النبي نوح عليه السلام نجده يقول لقومه: { ...يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللّهِ فَعَلَى اللّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ}.([124]) فهو قوي الإيمان صادق العزم لا يبالي في الله لومة لائم. ثم هو سريع إلى الاستغفار حتى لو كان الذنب هو مجرد التعبير المؤدب عن حنان الأبوة تجاه ابنه الكافر.([125]) لهذا فقد استحق بجدارة نعت { إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً}([126]) وأنه كان من المحسنين فهو من عباد الله المؤمنين.([127])

([121]) صموئيل الثاني ١٢:١٦- ٢٣.
([122]) الألباني وآخرون صفحة ٥٥٥- ٥٥٨؛ بدوي والحلقات الخاصة بالنبوة.
([123]) سورة الأنعام ٨٣- ٨٦.
([124]) سورة يونس: ٧١.
([125]) سورة هود: ٤٥- ٤٧.
([126]) سورة الإسراء: ٣.
([127]) سورة الصافات: ٨٠- ٨١.

وعن النبي إبراهيم عليه السلام يقول تعالى: في وصفه: { إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً}،([128]) { لأوَّاهٌ حَلِيمٌ}،([129]) { أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً}،([130]) {الَّذِي وَفَّى}.([131])

أما النبي لوط عليه السلام فقد كان من بين من فضلهم الله {عَلَى الْعَالَمِينَ}،([132]) وكان عبدا صالحا([133]) من الشاكرين.([134])

وورد عن النبي يعقوب وأبيه إسحاق وجده إبراهيم عليهم السلام، في القرآن الكريم، قوله تعالى: {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ. إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ}.([135])

وعن النبي داوود عليه السلام يقول الله تعالى في القرآن الكريم: {... وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ... وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ}.([136])

ولما كانت عقيدة المسلمين أن الله القادر على اختيار أحسن عباده ليكونوا رسلا له فأقصى ما يرتكبه النبي من ذنب أخلاقي هو ما يجري في القلب كما جاء في قصة النبي يوسف {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بهَا...}([137])

ولندرك مدى خطورة اتهامات العهد القديم تجاه الأنبياء العظام تخيّل نفسك، لا في مكان هؤلاء الأنبياء، بل في مكان داعية من الدعاة وضبطك من تدعوهم إلى الله في وضع من الأوضاع التي وصم بها الكتاب المقدس أنبياء الله، لوط وداوود ثم نشروا هذه الفضيحة على الملأ. فماذا يكون وقع ذلك في نفسك وعلى عملك؟ وماذا ستكون مشاعر من

([128]) سورة مريم: ٤١.
([129]) سورة التوبة: ١١٤.
([130]) سورة النحل: ١٢٠.
([131]) سورة النجم: ٣٧.
([132]) سورة الأنعام: ٨٦.
([133]) سورة التحريم: ١٠؛ سورة الأنبياء: ٧٤.
([134]) سورة القمر: ٣٥.
([135]) سورة ص: ٤٥- ٤٧؛ وانظر أيضا سورة مريم: ٤٩- ٥٠.
([136]) سورة ص: ١٧- ٢٠.
([137]) سورة يوسف: ٢٤.

تدعوهم إلى الله تجاهك؟ ألا تعتقد أيها القارئ أن الله قادر على اختيار رسل أفضل من أولئك الذين وصفتهم التوراة؟.

النبي محمد صلى الله عليه وسلم

هناك عدد من الآيات في الكتاب المقدس يمكن اعتبارها بشارات بقدوم النبي محمد صلى الله عليه وسلم. بعضها في العهد القديم وبعضها الآخر في العهد الجديد.

مما ورد في العهد القديم نقرأ في الكتاب المقدس:

١) (وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا. اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة).([138]) النص السابق قد لا يعني شيئا كما جاء هنا ، ولكن بعض علماء المسلمين في القرن الرابع عشر الميلادي([139]) معتمدين على ترجمة عربية قديمة للآية نفسها مضيفين عليها الآيتين الحادية عشرة والثانية عشرة من الإصحاح السادس عشر قدموا دليلا بأن الكتاب المقدس يبشر بقدوم حفيد للنبي إسماعيل ستكون له مكانة لا ينالها أحد من نسل النبي إبراهيم. وأن ذلك هو النبي محمد. ليس هذا فحسب ولكن ورد اسم محمد كسبب لتشريف إسماعيل.([140])

٢) ورد في الكتاب المقدس أيضا (جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران...)([141]) كما أن العهد القديم يؤكد أن إسماعيل ترعرع في برية فاران([142]) واعتمادا على هاتين الآيتين، يؤكد علماء المسلمين بأن رسالة موسى بدأت في سيناء ورسالة عيسى جاءت في سعير (أرض بالشام) ونزل الوحي الإلهي على محمد على جبل حراء في مكة([143]) عليهم السلام جميعا.

٣) يقول الكتاب المقدس متنبئا بحلول حدث يكون سببا في سعادة قبيلة قيدار (... لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار...)([144])

([138]) تكوين ١٧:٢٠.
([139]) ابن القيم الجوزية صفحة ٥٢٩- ٥٨٠.
([140]) جاء في بعض الترجمات القديمة (أباركه بما ماد).
([141]) تثنية ٢:٣٣.
([142]) تكوين ٢١:٢٠.
([143]) ابن تيمية صفحة ٣٠٤- ٣٠٥.
([144]) أشعيا ٤٢: ٩- ١٧.

وفي موضع آخر من السفر نفسه([145]) يحكي لنا الكتاب المقدس قصة امرأة عاقر لم تلد من قبل أتتها البشارة فسيصبح شرفها (ياقوتا.. وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيرا..) وسيكتب النصر لها على كل من يعاديها. ثم يشير السفر نفسه إلى الرب وقد عزم على استبدال بني إسرائيل بقوم لم يسألوه أو يطلبوه من قبل.([146])

وقد ذهب بعض علماء المسلمين إلى أن المقصود بقبيلة قيدار، وهو اسم أحد أبناء إسماعيل بن إبراهيم، هنا هم العرب والمرأة العاقر هي مكة التي سيبعث فيها ومن أهلها رسول لأول مرة.([147])

وورد في العهد القديم أيضا على لسان موسى (قال لي الرب قد احسنوا فيما تكلموا. أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به)([148]) ثم في موضع آخر ورد قول الرب: (فأنا أغيرهم بما ليس شعبا بأمة غبية أغيظهم).([149]) ويفسر علماء المسلمين هذه الآيات بأنها إشارة صريحة إلى محمد النبي الأمي الذي سيبعث إلى قوم أميين وينطق بالوحي الذي هو من كلام الله. وقد تم تفسيرها بهذا المعنى خاصة لأن الصفات التي وردت في مزامير داوود([150]) تنطبق على محمد وجيوش الإسلام (أنت أبرع جمالا من بني البشر انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله إلى الأبد. تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاءك.. شعوب تحتك يسقطون..).

وفي العهد الجديد كذلك توجد نصوص تشير بطريقة مباشرة أو بالتلميح إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ولعل من أقوى تلك البشارات ما ورد في إنجيل يوحنا إذ تقول الآية السادسة والعشرون من

([145]) أشعيا ٥٤: ١-١٧.
([146]) أشعيا ٦٥: ١- ٤.
([147]) الهندي صفحة ٥٢٤- ٥٣١.
([148]) تثنية ١٨: ١٧- ١٨.
([149]) تثنية ٢١:٣٢.
([150]) المزامير ٤٥: ٢- ١٧.

الإصحاح الخامس عشر (ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي).([151])

يشير علماء المسلمين إلى ترجمة أخرى من الأصل اليوناني للعهد الجديد ويركزون على الكلمة التي ترجمت هنا بـ (المعزى) فيؤكدون أن معنى الكلمة الإغريقية في الأصل تعني الحمد فهي بمعنى محمد أو أحمد.

والحق أن علماء المسلمين ينطلقون في تفسيراتهم هذه من إيمانهم الراسخ بما جاء في القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى: { وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ...}([152])

وعندما يتحدث القرآن الكريم عن قصة بناء الكعبة يقول الله تعالى على لسان إبراهيم: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ}.([153])

والقرآن الكريم يؤكد: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ}([154]) وأنه يؤمن بالرسل من قبله وما أنزل عليهم.([155])

والحقيقة أن جوهر دعوة رسل الله هي عبادة الله وحده، لا شريك له إذ يقول تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}.([156])

كما يؤكد الله تعالى مخاطبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}([157])

ومخاطبا البشرية يقول تعالى: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً}.([158])

([151]) يوحنا ١٤: ١٦؛ ١٥: ٢٦ ؛ ١٦: ٧-١٥.
([152]) سورة الصف: ٦.
([153]) سورة البقرة: ١٢٩.
([154]) سورة آل عمران: ١٤٤.
([155]) سورة البقرة: ٢٥٨.
([156]) سورة الأنبياء:٢٥.
([157]) سورة سبأ: ٢٨.
([158]) سورة الأحزاب: ٤٠.

هذا ما يراه علماء الإسلام لكن علماء المسيحية لاشك يرفضون هذه التفسيرات. وفي غياب التوثيق لما أنزل على موسى وعيسى وغيرهم من أنبياء الله المشار إليهم في الكتاب المقدس عليهم السلام أضف إلى ذلك صعوبات الترجمة فإن التحريف غير المقصود من السهل تسربه إلى طبعات الكتاب المقدس المختلفة.

كما أن احتمال التحريف المتعمد وارد في مثل هذا الوضع، حيث ينكر اليهود رسالة عيسى عليه السلام وحيث ينكر كل من اليهود والنصارى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

لا شك أن الوضع كله يجعل أمر الجزم في الموضوع مرهون بما يعتقده كل طرف من الأطراف غير أن التشابه بين بعض نصوص الكتاب المقدس وبعض آيات القرآن الكريم فيما يتعلق بهذا الأمر جدير باهتمام القارئ المنصف.

الخلاصة

لعل العلاقة بين اليهودية والنصرانية والإسلام تنفرد بصفات خاصة تُميِّزها عن العلاقة الموجودة بين الديانات والفلسفات الأخرى. ويظهر تميزها في عدد من الأشكال:

أولا: العلاقة بينهم تأخذا شكلا مطردا ليس من حيث الترتيب الزمني حسب، ولكن أيضا من حيث شمول الرسالة، وإن كان بترتيب عكسي. الأخير أكثر شمولا والتالي يتضمن الأول.

ثانيا: ترتبط الأديان الثلاثة بشكل عام بكونها أديان سماوية تؤمن بوجود خالق للكون كله، وبيوم الدين والحساب واليوم الآخر.

ثالثا: المؤمنون بالديانة السابقة ينكرون الديانة اللاحقة بينما المؤمنون بالديانة اللاحقة يؤمنون أيضا بسماوية الديانة السابقة.

وهذه العلاقة هي أشبه ما تكون بالعلاقة بين نوع معين من الثياب تختلف أحجامها باختلاف عمر من يلبسها. فهي متشابهة في التصميم ولكن تمثل درجات مختلفة من النمو، الذي يقف عادة عند حد معين، كما هو الحال بالنسبة للهيكل العظمي للإنسان الذي يقف عند حد معين من النمو. واختيار المقياس غير المناسب لا محالة مشكلة.

غير أن اختيار الدين الذي يحيد عن الصواب مشكلة أكثر خطورة وأشد حساسية من تلك. ولعل المثال التالي يوضح هذه الخطورة:

افترض أنك تبحث عن طبيب لينقذك من سم لا محالة قاتلك، إن لم يعالجك ذلك الطبيب. والطبيب يسكن في عمارة لها ثلاثة مصاعد. أحدها لا يؤدي إلا إلى الجزء القديم من العمارة، والآخر لا يؤدي سوى إلى الجزء الأكثر حداثة، مضافا إليه القديم. أما الثالث فيوصلك إلى جميع أجزاء العمارة بما فيها الإضافة الأخيرة. والوسيلة الوحيدة لمعرفة ساكني الشقق المختلفة هي قراءة اللوحة المثبتة على باب كل شقة.

أخبرك ثلاثة أشخاص أن الطبيب، الذي بيده علاجك وإنقاذك من الموت المحتم، يسكن في الجزء الذي يسكنه هو، مع أن كل واحد منهم يسكن في جزء مختلف عن الآخر. وأنت لا تدري من تصدق، ولم تُعطى سوى فرصة واحدة. فأي المصاعد تختار؟:

١. المصعد الأول الذي يؤدي إلى الجزء القديم فقط ؟
٢. أو الثاني الذي يؤدي إلى الجزء القديم والأكثر حداثة فقط ؟
٣. أو الثالث الذي يؤدي إلى الإضافة الأخيرة والجزأين السابقين جميعا؟

وبعبارة أخرى، حتى لا تضل الطريق إلى الفلاح الأبدي: هل تختار اليهودية أو المسيحية أو الإسلام؟

قائمة المراجع العربية

القرآن الكريم

الكتاب المقدس: كتب العهد القديم والعهد الجديد (بيروت: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ١٩٤٨م).

الألباني، محمد ناصر الدين، وزهير الشاويش وغيرهما. شرح العقيدة الطحاوية (بيروت: المكتب الإسلامي، الطبعة السادسة ١٩٨٠م).

أبن تيمية، شيخ الإسلام أحمد. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح الرياض: مطابع المجد التجارية ---).

ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، المغني (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة ---).

بهجت، أحمد، أنبياء الله ط١١ (بيروت: دار الشروق ١٩٨٣م).

ابن القيم، محمد بن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، في الجامع الفريد (الرياض: مطبعة المدينة ١٣٨٧هـ).

حقي، إحسان حقي، الدليل إلى أحكام التوراة والإنجيل (الكويت: مكتبة المنار الإسلامية ١٤٠٤هـ).

خان، ظفر، الإسلام، التلمود: تاريخه وتعاليمه (بيروت: دار النفائس ١٣٩١هـ).

خان، وحيد الدين، الإسلام يتحدى، تعريب ظفر الإسلام خان (بيروت: دار البحوث العلمية ١٤٠١هـ).

السامرائي، فاضل صالح، نبوة محمد من الشك إلى اليقين (بغداد: مكتبة القدس ١٣٩٨هـ).

السقا، أحمد حجازي، أقانيم النصارى (القاهرة: دار الأنصار ١٩٧٧م).

شلبي، عبد الجليل شلبي. رد على مفتريات على الإسلام (الكويت: دار القلم ١٩٨٢م).

الصوري، أبو الحسن إسحاق، التوراة السامرية (القاهرة دار الأنصار ١٩٧٨م).

الطهطاوي، محمد عزت إسماعيل، النصرانية والإسلام: عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة (القاهرة: دار الأنصار ١٩٧٧م).

القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة ١٩٨١م).

الكيرواني، الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني، إظهار الحق (قطر: الشؤون الدينية ١٤٠٠. أو رحمة الله الهندي وإظهار الحق، القاهرة: دار التراث العربي للطباعة والنشر ١٩٧٨م).

قائمة المراجع الأجنبية

Abalati, Hammudah, Islam in Focus, Indianapolis, IN: American Trust Publication 1975.

Ali, Abdullah Yusuf, The Glorious Qur'an, Translation and Commentary, The MSA of USA and Canada, 1975.

Asad, Muhammad, (Trans.) The Message of the Qur'an. Gibraltar: Darul Andalus, 1980.

The New American Bible: The New Catholic Translation, Nashvill:Thomas Nelson Publishers, 1971.

The New English Bible with the Apocrypha, New York: Oxford University Press, 1971.

The Holy Bible: Old and New Testament in the King James Version, Nashville: Holman Bible Publishers, 1960.

Aziz-us-Samad, Ulfat, Islam and Christianity, Riyadh: Presidency of Islamic Research, Ifta and Propagation, 1984.

Badawi, Jamal, Muhammad's Prephethood: An Analytical View, Plainfield: MSA of USA and Canada.

Badawi, Jamal, Islamic Teachings: Series of Interviews, (on tapes) Halifax: Islamic Information Foundation, 1982.

Bruce, F.F. The English Bible: A History of Translations from the Earliest English Versions to the New English Bible, New York: Oxford University Press, 1970.

Bucaille, Maurice, The Bible, The Qur'an and Science: The Holy Scriptures Examined in the Light of Modern Knowledge, Paris: Seghers, 1982.

Al-Bukhari, Sahih Al-Bukhari, translation of Muhammad Muhsin Khan, Ankara: Hilal Yainlari 1976. or Beirut: Dar Al Arabia 1985.

Deedat, Ahmad, Christ in Islam Durban: The Islamic Propagation Center, 1983.

Deedat, The God that Never Was Durban: The Islamic Propaga- tion Center, 1983.

Deedat, "50,000 Errors in the Bible? "Durban: The Islamic Propagation Center.

Deedat, Is The Bible God's Word? Durban: The Islamic Propaga- tion Center.

Deedat, Al-Qur'an The Ultimate Miracle, Durban: The Islamic Propagation Center.

Deedat,What the Bible Says About Muhammad (P.B.U.H.) Durban: The Islamic Propagation Center.
Deedat, What is His Name? Durban: The Islamic Propagation Center, 1981.
Deedat, Resurrection or resuscitation, Durban: The Islamic Propagation Center, 1978.
Deedat ,Who Moved the Stone?, Durban: The Islamic Propagation Center, 1977.
Deedat, What Was the Sign of Jonah, Durban: The Islamic Propagation Center, 1976.
Deedat, Was Jesus Crucified?, Chicago: Kazi Publications.
Khan, Muhammad Muhsin, Jesus and Muhammad (P.B.U.H.) in Bible and Qur'an, Chicago: Kazi Publications, Inc. 1977.
Mufassir, Sulayman Shaid, The Bible's Preview of Muhammad, St, Louis: Islamic Center of St. Louis, 1974.
Mufassir, Jesus in the Qur'an, Plainfield: The Muslim Students Association of the U.S.A. 1972.
Partridge, A. C., English Biblical Translation, London: Ande'e Deutsh Limited 1973.
Rahner, Karl, (ed.), Encyclopedia of Theology: The concise Sacramentum Media, New York: Seabury Press, 1975.
A.E.I.F, Islam and Christianism, Paris: A.E.I.F. Publication; Hyderabad: Habib & Co, 1979.
Watchtowers Bible and Tract Society, The Time for True Submission to God, New York: Watchtowers Bible and Tract Society, 1982.

ملحق (أ)

أسفار العهد القديم

Genesis	التكوين
Exodus	الخروج
Leviticus	اللاويين
Numbers	العدد
Deuteronomy	التثنية
Joshua	يسوع
Judges	القضاة
Ruth	راعوث
1 Samuel	صموئيل الأول
2 Samuel	صموئيل الثاني
1 King	الملوك الأول
2 King	الملوك الثاني
1 chronicles	أخبار الأيام الأول
2 chornicles	أخبار الأيام الثاني
Ezra	عزرا
Nehemiah	نحميا
Esther	استير
Job	أيوب
Psalms	المزامير
Probes	الأمثال
Ecclesiastes	الجامعة
Song of Songs	نشيد الإنشاد
Isaiah	أشعيا
Jermiah	أرميا
Lomentations	مراثي أرميا
Ezekiel	حزقيال
Danial	دانيال
Hosea	هوشع
Joel	يوئيل
Amos	عاموس

Obadiah	عوبديا
Jonah	يونان
Micah	ميخا
Nahum	ناحوم
Habakkuk	حبقوق
Zephoniah	صفينا
Haggai	حجي
Zecharia	زكريا
Malachi	ملاخي

ملحق (ب)

أسفار العهد الجديد

Mathew	إنجيل متى
Mark	إنجيل مرقس
Luke	إنجيل لوقا
John	إنجيل يوحنا
Act of the Apostle	أعمال الرسل
Romans	الرسالة إلى رومية
1. Corinthians	الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس
2. Corinthians	الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس
Galathians	الرسالة إلى أهل غلاطية
Ephesians	الرسالة إلى أهل أفيس
Philippians	الرسالة إلى أهل فيلبي
Colossians	الرسالة إلى أهل كولوسي
1. Thesslanias	الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي
2. Thessalanias	الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي
1. Timothy	الرسالة الأولى إلى أهل تيموثاوس
2. Temothy	الرسالة الثانية إلى أهل تيموثاوس
Titus	الرسالة إلى تيطس
Philemon	الرسالة إلى فيلمون
Hebrews	الرسالة إلى العبرانيين
James	رسالة يعقوب
1. Peter	رسالة بطرس الأولى
2. Peter	رسالة بطرس الثانية
1. John	رسالة يوحنا الأولى
2. John	رسالة يوحنا الثانية
3. John	رسالة يوحنا الثالثة
Jude	رسالة يهوذا
Revelation	رؤيا يوحنا

ملحق (ج)

بعض الأسماء المشهورة

Adam	آدم
Eve	حواء
Noah	نوح
Abraham	إبراهيم
Ismael	إسماعيل
Issac	إسحاق
Jacob	يعقوب
Joseph	يوسف
Moses	موسى
Aron	هارون
Elias	إلياس
Elisha, Elijiah	اليسع
Jonah	يونس
Lot	لوط
Huud (Heber)	هود
Saleh (Methusaleh)	صالح
Enoch	إدريس
Isaiah (Ezekiel)	ذو الكفل
Zan noon	ذو النون
Luqmaan (Esop)	لقمان
David	داوود
Solomon	سليمان
Job	أيوب
Zachariah	زكريا
John Babtist	يحي
Mary	مريم
Jesus	عيسى
Jerthro	شعيب
Ezra	عزيز